

٥ - بين القاهرة وطوس

طهرانه الى نيسابور

للدكتور عبد الوهاب عزام

تلقينا يوم قدمنا طهران دعوات كثيرة إلى حفلات رتبها الحكومة - دعوات باسم رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والخارجية والعارف، ولجنة الآثار القومية، ونادى « إيران جوان ». وكانت دعوة رئيس الوزراء إلى المشاء في قصر گلستان، والدعوات الأخرى إلى الغداء في دار البلدية ونادى إيران. وقد دعت لجنة الآثار إلى شهود التمثيل مرتين في مسرح « مسالن نيكوئي » وإلى شهود لمب الجوكان وألعاب أخرى في ميدان سلطنت آباد.

تشيئا الليلة الأولى في القصر الملكي - قصر گلستان، وهو بناء جميل يرى الداخل إليه حديقة فيها أحواض ماء كبيرة، وقد رأينا على حافة الأحواض شموعاً كثيرة. توقدت فيرى للألأنها على صفحة الماء رواء جميل وصعدنا إلى بهو فسيح غشيت جدره وسقفه بالمرابا وقطع

الذي لامهرب منه هارب ولو تعلق من السحاب، ببلائق وأسباب! . نعم إنها لتفينا عنه لأننا ماذ كرناه أبدأ إلا رأينا منا بميداً، وقد تكون منه على رمية حجر!

إذن لقد خرج لنا من كل هذا أن قيام الانسان في الدنيا إنما هو مدين لهذه الأثرة في طبعه، فيها يحرص على الحياة ويتشبث، وبها يرضى عن الحياة ويكلف، وفي سبيلها يحتمل الأوجاع والأسقام، ويسيع كل ما تعتره به الليالي من أحداث جسام. فمن فاته فيها المتع ففي الآمال متع ومناعم، ومن ألج عليه الضيق ففي المني سعة ومناعم. بل إنه ليفرح كلما مضى من عمره علم وأقبل عام، بما توسوس له من المني وتمد له من كواذب الأحلام. ألا عاشت هذه الأثرة ليعيش في ظلها هذا الانسان! . . .

عبد العزيز البصري

البلور - وهذه زينة شائعة في إيران رأيناها في أمكنة كثيرة - وصفت في جوانب المكان دواليب فيها ذخائر الملوك السالفين: قطع كبيرة من الأحجار النفيسة، وسيوف وخناجر وتروس، وأدوات للزينة، وأباريق وطسوت، كل ذلك على بالماس والياقوت، والعقيق والفيروز، وفي صدر المكان عرش محلي بالأحجار الثمينة له مسند على صورة ذنب الطاووس ويسمى عرش الطاووس، وكذلك رأينا كتباً قديمة قيمة فيها من عجائب الخط والنقش والتجليد آيات من الصناعات الاسلامية

أمتنا النفس رؤبة هذه الأعلام، ثم تمشينا، وشهدنا بمد المشاء ألعاباً نارية كثيرة

ومن الأبنية الفخمة التي رأيناها في طهران مسجد سباهلار وهو مسجد كبير فيه مدرسة تسمى الآن مدرسة المقول والمنقول، ولها مكتبة بها مخطوطات قيمة، ومساجد إيران كلها متشابهة في قيامها على عقود كبيرة وقباب، وفيها يجلبها من الكاشاني، والخط الجميل

وزرنا مجلس الشورى الملى (البرلمان) وهو بناء جديد رائع تناولنا الشاي في الطبقة الثانية منه في حجرة غشيت جدرها وسقفها بقطع البلور، يتخللها ضوء النهار أوضوء الكهروباة ليلاً فاذا حجرة من النور يحار فيها الطرف

وكذلك رأينا مدرسة الصنائع المستخرقة (الفنون الجميلة) وهي مدرسة ناشئة يرجى لها في الاحتفاظ بصنائع إيران مستقبل عظيم

وزرنا مصيف جلالة الشاه قصر سمد آباد . وهو بناء جميل في سفح جبل شميران شمالي طهران، يخلق على منظر رائع من الأشجار الممتدة على السفح، وتنحدر إليه المياه متدفقة من الجبل. والقصر بناء صغير به بضع حجرات، وقد بنى كله بأحجار ذات ألوان طبيعية مختلفة جلبت اليه من أرجاء البلاد. ومن حجراته واحدة فيها مكتب جلالة الشاه. وقد لفت الأنظار اليه جمال صنعه، وصورة مدفع صغير فوقه، ومقلمة لها سياج من رصاص البنادق. تناولنا الشاي في حديقة نسقت بها الأزهار تنسيقاً رائعاً. ثم انصرفنا حين أشفقنا من برد المشي

وشهدنا التمثيل مرتين، مثلت في الليلة الأولى ثلاث قطع من

٨٩٧ كيلا قطعناها في ثلاثة أيام ؛ وكان جلالة الشاه قد سار الى مشهد قبلنا بيومين
اجتزنا جبال فيروز (فيروز كوه) وهي جبال وعرة مديدة
تجهد فيها السيارة صاعدا وهابطة ثلاث ساعات ، وبلغنا مدينة
سمنان بعد الظهر فنزلنا داراً بظاهر البلد في فناء مصنع كبير
حدثت لنزل القطن ونسجه ، وفي الفناء حوض واسع ، جلسنا
على حافته فرفعنا عن الوجوه وعت السفر واسترحنا ونفدينا ، ثم
استأنفنا السير فقطعنا الى دامغان ١١٣ كيلا ، واخترقنا البلد
ولم نقف به

وسأنتكم عن سمنان ودامغان حين أصف عودتنا من مشهد
الى طهران . وقطعنا من دامغان الى شاهرود ٦٧ كيلا ، وبلغنا
المدينة بعد الغروب ، وقد زين شارعها بسجاجيد كثيرة ، فنزلنا
بدار كبيرة خارجها ، نزل بعضنا في حجراتها وآخرون في خيام
ضربت في الحديقة وفرشت فرشاً حسناً ، وقد شعرنا بالبرد
الشديد في هذا البلد ، وأصابني به برد لازمني حتى عدت الى
طهران ، فنقص على السفر قليلاً وأقاني بعض المشاهد . فلها في
سفرنا ذكرى لاتسى

إذا أنت لم تنفع فضر فاعنا يرجى الفتى كيا يضر وينفعا
وشاهرود قرية غربي خراسان على مقربة من حدود ولاية
استرآباد ، طولها ٥٢ درجة وعرضها ٣٦ وارتفاعها ١١١٠ أمتار .
وهي مكان تجارى على الجادة من طهران الى مشهد ، ويذهب منها
طريقان الى استرآباد . وفيها مجرى ماء عذب ، وبساتينها كثيرة
والى الشمال منها بسطام بلد الصوفى الكبير أبى يزيد
البسطامى المتوفى سنة ٣٦١ ، وبها قبره ؛ وقد تحولت التجارة
عنها الى شاهرود في القرن الماضى فتضاءلت حتى صارت قرية
صغيرة . وقد بنى ألباتو خان من السلاطين الايلخانية مسجد
أبى يزيد والمسجد الجامع

— حرصت على زيارة أبى يزيد — فقيل لى سنزوره فى
عودتنا من مشهد ، ثم لم يتيسر لنا هذا حينما رجعنا الى شاهرود
فأقلنا الى طهران لضيق الوقت وتملأ سائق السيارة بوعورة
الطريق . وأنا أقل هنا ما كتبه ياقوت وقد زارها قبل سبعة قرون
فأنتى أن أرى الديار بعينى فعلى أرى الديار بسمى

الشاهنامه . وفي الليلة الثانية قصة سهراب
وشهدنا يوم السبت ١٤ مهرماه (١٦ أكتوبر) فى ميدان
سلطنت آباد على مقربة من المدينة لعب الجوكان (جوگان بازى)
والعابا رياضية أخرى (نمايشات زورخانه)
والجوكان لعب الكرة والصولجان على متون الخيل . وكان
لمباً شائماً فى العالم الاسلامى ولا سيما ايران . ويذكر كثيراً فى
الشعر الفارسى . وأخذت منه فى اللغة كنايات كقولهم « گوى
برد » أى أخذ الكرة ، بمعنى حاز قصب السبق فى اللغة العربية
يقول الشيخ سعدى :

« فسحت ميدان أرادت بيار تايزد مرد سخنگوى گوى »
وترجمته : افصح ميدان الارادة ليضرب الرجل النطيق الكرة
أى أحسن الاستماع ليستطيع النصيح أن يتكلم . وكان بجانب وقت
اللعب ملك الشعراء بهار فقلت : كم قرأت عن « أخذ الكرة »
فى الشعر الفارسى وما فهمته حقاً إلا الآن .

والألعب الأخرى ، وتسمى « نمايشات زورخانه » ضروب
مختلفة من اظهار القوة : ضرب الطبل لجاء جماعة يلبسون
سراويلات من الجلد وسائر أجسامهم عار ؛ وزلوا الى حفرة
مستديرة قريبة الغور . وجلس على مقربة منهم رجل على منصة
يدق الطبل وينشد شعراً من الشاهنامه وغيرها ، بدأوا يرقصون
على هذه الأنغام ، ثم لمبوا العابا مختلفة : يدور واحد على نفسه
مسرعاً باسطاً يديه أو يحمل حلقة من سلسلة ثقيلة يرفع بها
يديه واحدة بعد الأخرى أو يستلق على ظهره ثانياً رجله ويأخذ
بكل يد قطعة من الحديد مبسوطة لها مقبض فى وسطها فيرفع بها
يداً بعد أخرى مائلاً على جنبه ، أو يقوم ممسكاً بيديه حديدتين
ثقيلتين يحركهما حركات مختلفة ، وهكذا . وهى ألعاب قديمة
تدل على القوة والمران

أمضينا فى طهران خمسة أيام . وطهران مدينة حديثة ،
كانت قرية صغيرة بجانب مدينة الرى الكبيرة . ثم بنى لها الشاه
طهما سب الصفوى سوراً عظيماً . ثم أخذها آغا محمد خان
القاجارى دار ملك ، فشرعت تعظم وتتسع
ويوم الثلاثاء ٣٠ جمادى الثانية (١٩ أكتوبر — ١٧ مهرماه)
برحنا طهران مبكرين متوجهين لتلقاء مشهد . وبين المدينتين

مجرى ماء ، وكانت مدينة عامرة ، قامت فيها في القرن الثامن الهجري (٧٣٥ - ٧٧٢) أنارة عرف أمراؤها باسم السريدارين (سريداران) وأولهم خواجه عبدالرازق أحد رجال السلطان أبي سعيد آخر ملوك الدولة الأيلخانية ، ودامت الأمانة خمساً وثلاثين سنة تداول فيها الأمر المضطرب اثنا عشر أميراً حتى قضى عليهم تيمورلنك وسبزووار الآن بلدة صغيرة لا يبدو عليها غنى ولا جمال . دخلناها وقد زين شارعها سموط من مصاييح الكهرباء . نزلنا بها وأوينا إلى خان واسع ذي طيقتين ، فرشت حجراته فرشاً حسناً من أجل وفود الفردوسي . وبتنا ليلتنا مسرورين على ما حجب بعضنا من برد شاهرود

نحن الآن على مائة كيل من نيسابور العظيمة . فتتظر في المقال الآتي حديث نيسابور
عبد الوهاب عزام

قال ياقوت « وقد رأيت بسطام هذه ، وهي مدينة كبيرة ذات أسواق ، إلا أن أبنيتها مقتصدة ليست من أبنية الأغنياء . وهي في فضاء من الأرض ، وبالقرب منها جبال عظام مشرفة عليها ، ولها نهر كبير جار . ورأيت قبر أبي يزيد البسطامي رحمه الله في وسط البلد في طرف السوق . وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان الزاهد البسطامي »
وبسطام ودامغان كانتا من مدن قومس المعروفة في التاريخ الإسلامي

تركنا شاهرود صباحاً ونحن ننشد ما قاله أبو تمام حين اجتاز بقومس وهو يؤم عبدالله بن طاهر في نيسابور يقول في قومس صحبي وقد أخذت

منا السرى وخطى المهريه القود

أمطلع الشمس تبغني أنت تؤم بنا ؟

فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ونذكر ما قاله يحيى بن طالب الحنفي :

أقول لأصحابي ونحن بقومس

ونحن على أتباج ساهمة جرد

بعدنا وبيت الله من أرض قرقرى

وعن قاع موحوش وزرنا على البعد

فصلنا من شاهرود والساعة ثمان إلا ربماً

من صباح الأربعاء ومررنا بعد نصف ساعة بقرية

قفر اسمها خير آباد . قال سائق السيارة هذه قرية

هاجت بساكنيها المقارب ، حتى تعذر عليهم

الأقامة بها فهجروها ، ونزلنا بعد ساعة وعشر

دقائق في منزل على الطريق اسمه (باغ زيدر) ،

فشربنا الشاي على جدول عليه أشجار جميلة .

وسلكنا طريقاً موحشة ذات تلال ومجان كثيرة .

قال محدثنا كانت طريقاً مخوفة لا يفارقها خطر

التركان . ورأينا هناك قلاعاً قديمة مشرفة على

الطريق . ونزلنا وقت الظهر في قرية اسمها داوركرزن

في خان ضربت فيه خيام كبيرة فاسترحنا وتعدينا ،

ثم ركبنا بعد ساعة ونصف نؤم سبزووار . وهي

كاسمها في إقليم مخضر ، كثير البساتين فيه

﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

سهلت السبيل اليه بباخريتها الفخمةين

زمزم والكوثر

حيث يجد الحاج فيهما كل أسباب الراحة

وحسن المعاملة